الفصل الأول:

حياته وثقافته

ميلاد شاعر:

كان ذلك فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٠٥ حين خرج: أحمد عبدالمجيد فريد إلى النور..

ولد شاعرنا بحى «المنيرة» بمدينة القاهرة لأسرة محافظة ميسورة الحال، وكان أبوه عبدالمجيد فريد يشغل منصباً مرموقاً بالحكومة المصرية «بالديوان الملكى» يومئذ ثم أصبح عضواً فى مجلس الشيوخ بعد ترك الوظيفة.

على أن شاعرنا أحمد عبدالمجيد، وان كان قد نشأ فى المدينة وبقى بها طفلاً وصبياً وشاباً، إلا أن أسرته تنحدر من أصول ضاربة فى أعماق الريف بين بنى سويف والفيوم.

وعندما شب الطفل الصغير ألحقه والده بالمدرسة «الناصرية» الابتدائية بالمنيرة، وفيها برز أحمد وأبدى تفوقه على أقرانه بما كان ينظمه لهم من عبث بريء.

وكان أحمد منذ صغره طفلاً وديعاً رقيقاً هادئاً تبدو على سيمائه مخايل النجابة والألمعية والذكاء.

وكان منذ طفولته يجنح إلى الهدوء والتأمل الحالم، وكان أكثر ما يجذبه ويشد سمعه وانتباهه الموسيقى أياً كان لونها، شرقياً أو غربياً، حتى أنه كان يحفظ فى سنه الباكرة أى أغنية تلتقطها أذنه الحساسة.. فكان يسبح فى عالم مفعم بالجمال والبهجة والأساطير ساعات طويلة حالمة.

ونشأ أحمد فى بيئة كلها ثقافة وأدب وفكر وسياسة وشعر.. حيث كان والده

«عبدالمجيد فريد» يعقد صالونه الأدبى بالمنزل الأنيق ومن حوله أقطاب الرأى وقادة الفكر وأعلام الأدب والسياسة والصحافة

وكان أمير الشعراء «أحمد شوقى» صديقاً لوالده فأولى أحمد عناية خاصة لما لمسه فيه من نجابة وذكاء وموهبة مبكرة. وكذلك كان حافظ إبراهيم من أصدقاء والده ومن زملائه.

وفى تلك الحقبة كان أحمد يقرأ بعض المختارات الأدبية والشعرية من مكتبة والده وكان يحضر أحياناً هذا الصالون الأدبى فأفاده ذلك أيما فائدة فى اتجاهه المبكر للأدب والثقافة والشعر.. وكان له خال ينظم الشعر وينشده أمامه. وكان شعره فلسفياً صوفياً قوى الديباجة.

ثم أنجز أحمد دراسته الابتدائية وحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة الناصرية وتطلع إلى الالتحاق بالدراسة الثانوية.

وهكذا عاش تلك الحقبة من دراسته الابتدائية ينشق أريج وعطر الزعامة الوطنية والأدبية والسياسية التى كانت مصر تموج بها وتؤثر على كل من عاصرها. فقد كان حصوله على الشهادة الابتدائية يوافق عام قيام ثورة مصر عام ١٩١٩ على يد سعد زغلول الذى كان الشباب يكبرون فيه فوق وطنيته وتعاونه وتضحياته، براعته فى الخطابة والكتابة وامتلاكه لأفئدة المستمعين الذين يستشعرون شعوره كما لو كان بينه وبينهم معرفة كبرى.

فى المدرسة الثانوية

وانتقل أحمد بعد ذلك إلى المرحلة التالية من حياته المدرسية، فالتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة. وفى تلك الحقبة أوغل فى قراءة دواوين الشعر العربى، وشد اهتمامه بصفة خاصة شعر المتنبى وشعر أمير الشعراء، أحمد شوقى. أحب المتنبى

لقوة شعره ومتانة تراكيبه وعمقه ورصانته وحكمته، وأحب شوقى لموسيقاه الهامسة وحلاوة معانيه ورقة ألفاظه وعذوبتها وتجديداته الجريئة فى المضمون والشكل الفنى للقصيدة العربية والرواية الشعرية.. وعندما بدأ أحمد ينظم كلاماً موزوناً فى لغة فصحى أو دارجة، لم يكن يستند فى تلك الحقبة إلى علم بأوزان الشعر أو يعنى بمعرفته والاحاطة بتفاصيله.

وفى المدرسة السعيدية الثانوية بدأت تظهر بواكير موهبته الشعرية الخصبة.

كان أحمد عندما يكتب موضوع «الإنشاء» الذى يكون أستاذ اللغة العربية قد اختاره يحلو له أن يزينه - كما جرت بذلك عادة كتاب تلك الحقبة - بالشعر الذى به يستشهد على ما يقول أو يصف. ولما كان لا يحفظ كثيراً من الشعر فقد لجأ إلى وسيلة طريفة، فكان ينظم بنفسه شعراً يدعى أنه «لشاعر من الشعراء» فيقول مثلاً:

«وفى ذلك يقول الشاعر»

ثم يكتب ما يكون قد نظمّه..

وقد روى لى الشاعر الكبير - أحمد عبدالمجيد - حادثة طريفة وقعت له مع مدرس اللغة العربية فى السنة الرابعة، وكان يومئذ بالقسم الأدبى فقال:[1]

«طلب منا أستاذ اللغة العربية الشيخ عاشور أن نصف روضة ابان فصل الربيع، فرحت أصف فتنة الربيع وما يصنعه بأشجار الروضة وتفتح أزهارها واخضرار أغصنها، ووشوشة الأوراق التى تطرب من مداعبة النسيم لها..،

«وكان لابد ازاء هذا الحسن الآسر من المناظر أن أقول شعراً، ولما لم أجد فى حافظتى شيئاً من الشعر نظمت هذين البيتين:

(١) روى لىّ الشاعر أحمد عبدالمجيد هذه القصة يوم ٦/ ٦/ ١٩٧٠م.

منح الربيع الروض حسن وشاحه ونثا على صدر الورى الأزهارا

وسرت نسائمه تعطر جوه وشـدا بهـاه فأيقظ الأطيارا

«وعند تصحيح كراستى سألنى الأستاذ عن هذا الشعر ومن يكون ناظمه فأسقط فى يدى وأجبته انى نسيت اسمه، ومازال بى حتى اعترفت له بحقيقة الأمر وقد حيانى الأستاذ وشجعنى على أن أكثر من مطالعة الشعر، وأن أحفظ منه قدر ما أستطيع ليشتد عودى فى النظم وتتسع معرفتى بأساليبه».

***

وفى تلك الحقبة ازدادت قراءاته لروائع الشعر القديم والمعاصر فقرأ شعر المتنبى والشريف الرضى وابن الرومى وشوقى وحافظ وغيرهم من أعلام شعرنا العربى. وأمسك شاعرنا بالقلم وكتب محاولاته الشعرية الأولى.

وكان أول شعر كتبه شاعرنا هو شعر الحب والغزل وهنا تبلورت اتجاهاته الشعرية ومنذ ذلك الحين أصبح شاعرنا من أصدق شعراء الحب والجمال!..

وبالرغم من بساطة تلك الأشعار التى كتبها فى تلك الحقبة إلا أنها كانت ارهاصات ومحاولات جريئة اتسمت بالطلاوة والعذوبة والرقّة.

ومن الغريب حقاً أن أحمد عبدالمجيد قد أصدر أول كتاب له بعنوان:

«جد فى هزل» وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره بعد. وهو كتاب يحوى مجموعة من قصائده الشعرية بالفصحى والعامية، وكانت أشعاره فى تلك المرحلة تتناول الوصف والغزل والتشبيب.

ثم أنجز شاعرنا دراسته الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية للقسم الأدبى من المدرسة السعيدية بالجيزة.

ويذكر لى الأستاذ أحمد عبدالمجيد أنه خلال دراسته الثانوية بالمدرسة السعيدية وكان فى القسم الداخلى بها، ألفّ فرقة للتمثيل. وحرص على أن يكون مسرحهم مكتفياً بذاته، بمعنى أن يكون من أفراد الفرقة الموسيقيون ورسامو الستائر ومصممو الماكياج والمغنون ومؤلفو الألحان. وكان بالطبع هو الذى كان يمد الفرقة بأزجال المسرحية. وكانت هذه المرحلة هى باكورة اشتغاله بتأليف الشعر أو الزجل. وفى السنة النهائية الثانوية - أخرج رواية كان يمثل فيها دور هارون الرشيد بزيه التقليدى وصولجانه وذقنه. وكان ناظر المدرسة قد دعا وزير المعارف ليشاهد تمثيل الفرقة الناجحة. وفى الاستراحة قام الناظر فى صحبة الوزير لتهنئة الممثلين فى حجرة لبسهم. وكان أحمد آنذاك يشرب سيجارة، فلما دخل الناظر ووزير المعارف لم يرتبك لأنه كان يحتمى وراء ذقن هارون الرشيد ولما لامه الناظر وفى اليوم التالى رد عليه بثقة: «إنه اندمج فى التمثيل وأشعل سيجارة...»

فى كلية الحقوق

التحق أحمد عبدالمجيد بكلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٢٤، وفى تلك الحقبة كتب عشرات القصائد الوجدانية الرقيقة الحالمة التى تذوب وجداً ورقّة وعذوبة!..

وكان كل جمال يلهب شاعريته.. وكان يتمثل فى ذلك بقول الشاعر:

اذا وجدت الغيد ألهانى الهوى وإذا وجدت الشعر عزّ الأغيد

ومر شاعرنا فى السنة الأولى بالكلية بتجربة عاطفية بطلتها من جيرانه وكانت فتاة جميلة رقيقة تحب الشعر، وكان أحمد يتشبب فيها بألوان من فنون الحب والغزل وهى فى شك من أمر حبّه، وراحت تلك المحبوبة تبدى له كثيراً من الدلال والشك فيما كان ينظمه فيها فكانت تكذبه فى أن تكون هى المقصودة بما كان يقول فيها من الشعر الغزلى الرقيق - وأين البرهان؟ فلما أعيته الحيلة فى اقناعها قال لها:

انى سأنظم لك أبياتاً من الشعر يكون أول حرف من كل بيت، أول حرف من اسمك؟!

وكان اسم المحبوبة «سميحة» فقال فيها شاعرنا كما وعدها:

سمحت بوعد والوعود يسيرة ... وبنات حوا وعدهن كذوب

ماكل وعـد يستطاب وانما ... صدق الهوى عند اللقاء يطيب

يامن لها فى القلب أكرم موضع ... هذا الذى ألقاه منك نصيب

حتام يعبث بى هواك وليتنى ... أدرى مصيرى والمصير مريب

ترنو عيونك لى بسحر آمر ... فإذا سألت المستحيل أجيب!

***

فن التأليف الغنائى

وفى أثناء دراسة أحمد عبدالمجيد بكلية الحقوق كان يخدش سمعه وأسماع الغيوّرين على تقاليدنا الشرقية المحافظة ما كان يذاع من أغان بلغت فى ابتذالها آخر ما يمكن أن تصل إليه أغنية من درك خطير.

كانت الأغانى المصرية يومئذ قد بلغت حضيض الاسفاف، مثل أغنيات:

«أرخى الستارة اللى فى ريحنا.. أحسن جيرانك تجرحنا»

و«أوعى تكلمنى بابا جاى ورايا»، «هات القزازة واقعد لاعبنى، دى المزة طازة والحال عاجبنى» و«يا سمبتيك خالص يا مهندم تعالى زورنى الليلة يا فندم».

ويصور لنا أحمد عبدالمجيد فى كتابه «لكل أغنية قصة» ملامح تسلك الحقبة لفن الغناء فيقول:[1]

فى هذه السنوات العجاف بالنسبة لفن الغناء، انصرف رهط من المغنيين

(١) أحمد عبدالمجيد/ لكل أغنية قصة/ ص ١٠١٠-١٠٢.

والمغنيات إلى ترديد الطقاطيق الخفيفة، والأغانى التى خلت من اللمسات الفنية فى النظم أو النغم، والتى لم يكن مقصوداً بها إلا ملء الفراغ بما هو أفرغ منه، وبوسيلة غايتها الأنس الرخيص، ومنادمة الغرائز الدنيا، استجلاباً للمرح الماجن و«الفرفشة» السافرة على حد كلمات أغنية معاصرة لذلك الزمن تقول:

بعد العشا بعد العشا - يحلا الهزار والفرفشة

أول مثل قول أغنية أخرى تنافسها ابتذالاً:

ارخى الستارة اللى فى ريحنا.. أحسن جيرانك تجرحنا

وكانت هذه الفترة تتميز بالانحلال والتأخر فى كافة مجالات الثقافة والفن والأدب، والاقتصاد، إلا من نفر معدود من أمثال المويلحى، وعلى مبارك، وأحمد لطفى السيد، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وعمر لطفى، وإسماعيل صبرى، وأحمد شوقى، وسعد زغلول، وفتحى زغلول، وعبدالعزيز البشري، وعلى يوسف، ظهروا على فترات كانوا فيها كالنجوم التى تهدى الضالين فى الليالى الداجية، أو الواحات المتناثرة فى صحراء جرداء، وسباسب مضنية، يستريح عندها المجدون فى طى هذه الفيافى المقفرة.

هذا التحليل العميق الدقيق يرسم لنا صورة صادقة لملامح تلك الفترة المظلمة الراكدة من تاريخ مصر الثقافى والاجتماعى والسياسى.

سمع أحمد عبدالمجيد، وتابع هذه الأغانى الهزيلة، وراعه أن يسمع الفتيات الصغيرات يرددن هذه الأغانى. فعزّت عليه تلك الجناية على أخلاق الجبل، وهو الذى قرأ روائع الشعر العربى الرقيق، وأحسّ بعوامل غيبية وداخلية نتيجة لضيقه بتلك الأغانى الهزيلة، تدفع به إلى ترجمة ما كانت تجيش به نفسه من مشاعر الحب

فى تلك السن الباكرة، وراح يصب أحاسيسه ومشاعره وهمسات روحه ومناجاته لمن يحب فى شعر باللغة الداجة كان يحتفظ به على طريقة اليوميات، للذكرى، عندما تعبث به نسائمها - وتشاء المصادفة أن يزوره فى تلك الحقبة زميل له تربطه به صداقة، يعرف عن شاعرنا أنه من هواة الاستماع إلى الموسيقى الشرقية، وأنه يميل للعزف على البيانو وبحكم الزمالة كان يبحث عن بعض الأوراق فى مكتبه فعثر على مقطوعتين هما «خايف أقول اللى فى قلبى» و«كلنا نحب القمر» فقال الزميل لشاعرنا:

- إن هذه المقطوعات ليس مكانها الدرج وانما يجب أن تغنى، وهى من اليوم ليست ملكك.

وكان صديقه هذا عضواً فى نادى الموسيقى الشرقية، فسعى إلى ادخال أحمد كعضو فى هذا النادى، ومن هنا بدأت صلة شاعرنا بالفن وبنظم الأغنية ويتذوق الموسيقى الراقية.. ثم كان تعرف شاعرنا بالموسيقار محمد عبدالوهاب.

كان ذلك عام ١٩٢٤ فى نادى الموسيقى الشرقية - حيث قدم صديقه شاعرنا الذى أطلع على المقطوعتين أحمد إلى الموسيقار عبدالوهاب، وروى له قصة اطلاعه عليهما، وإلى جانب ذلك كانت تجمع شاعرنا بأمير الشعراء، أحمد شوقى رابطة قوية.. كانت تقديراً من جهة شاعرنا نحو الشاعر شوقى وشعره الذى بزّ الأولين والآخرين وكانت مجالس شوقى فى ذلك الحين تشجيعاً من أمير الشعراء للشاعر أحمد عبدالمجيد، وهى تعد مدارس ومراجع للأدباء من الناشئين ومعيناً لا ينضب من الحكمة والأدب، والتوجيه والحوار فى أسمى مراتبه.

وكان أول ما لحنه عبدالوهاب لشاعرنا أغنية «كلنا نحب القمر» و«خايف أقول اللى فى قلبى» وكان ذلك عام ١٩٢٧ وكان لا يزال طالباً بكلية الحقوق ثم لحن عبدالوهاب بعد ذلك أغنيات «مريت على بيت الحبايب» و«فى الجو غيم حجب

القمر» و«وبالك مع مين يا شاغل بالى» و«وحسدونى وباين فى عنيهم» و«يا ترى يا نسمة» و«ماكانش عالبال» و«كتير يا قلبى الذل عليك» و«مين عذبك» و«نسيم الربيع» و«الهوان وياك بعزّه».. وأحدثت هذه الأغانى التى تغنى بها عبدالوهاب ثورة فى عالم الغناء، وكانت فتحاً جديداً للأغنية العربية الجديدة بعد أن كان الطابع السائد للأغنية فى تلك الحقبة الابتذال والاثارة وركاكة الألفاظ وتفاهة المعانى.

وتغنى عبدالوهاب بهذه المقطوعات ما بين عام ١٩٢٧ وعام ١٩٣٠ فأحدثت انقلاباً جذرياً فى مفهوم الأغنية العاطفية الأصيلة السامية لفظاً ومضموناً..

تغنى عبدالوهاب بتلك الأغنيات التى اتسمت بجمال المعانى وطرافتها وحلاوة الألفاظ ورقتها وعذوبتها ووجد النقاد فى تلك الأغانى روحاً جديدة ومعان مبتكرة أصيلة ولاسيما فى أغنية «كلنا نحب القمر» التى أتى فيها شاعرنا بمعان جميلة وصور طريفة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من قبل لما تتسم به من الصدق الغنى والابتكار الأصيل مثل قوله:

كلنا نحب القمر ... والقمر بيحب مين
حظنا منه النظر ... والنظر راح يرضى مين

ثم يقول شيئاً جديداً لم تألفه الأذن - فى ختامها -:

ما تقول لى ازاى انساك ... لا انا طايل تعذيب فى هواك
ولا قادر قلبى يسلاك ... جربّت خضوعى يكفاك

وأرى أن السبب الرئيسى لنجاح تلك الأغانى وذيوعها هو أنها كانت انعكاساً أصيلاً صادقاً لعواطف شاعرنا الرقيقة وأحاسيسه المرهفة ولأنها كانت تعبيراً موفقاً وصادقاً لانفعالات وجدانية واقعية فاتسمت بالحرارة والصدق الغنى.

وقد أعجبت تلك المقطوعات أمير الشعراء أحمد شوقى وقال كلمة سمعها شاعرنا من: عبدالوهاب نقلاً عن شوقى وهو بدوره أبلغها للشاعر فيما بعد.

فقد قال له فى شوقى فى أمسية من الأمسيات عندما كان يسمعه لحناً من كلمات أحمد عبدالمجيد وقبل أن يسمعه الجمهور أو يطبعه على أسطوانة:

«إذا أردت - مع الثقة فى نجاحك - الذيوع والانتشار والاحساس الغامر بما تقول فلّحن وغن من شعر أحمد عبدالمجيد لأنه ينبض بالحرارة والحياة».

***

وكانت المرحلة الجديدة فى فن الغناء فى مصر مرحلة جديدة وغنية وخصبة، ابتداءً من عام ١٩٢٦ اتجه الشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى إلى أم كلثوم بعد عودته من باريس عام ١٩٢٥م فغّنت له:

الصب تفضحه عيونه وتنم عن وجد شئونه

وكان اللحن، للملحن الشيخ أبوالعلا محمد.. ثم غنت له بعد ذلك زجلا جميلاً راقياً، وكانت أول مقطوعة نظمها خصيصاً لها هى:

خايف يكون حبك لى شفقة علىّ

وانتى اللى فى الدنيا ديه.. ضىّ عنيه

هذا بالنسبة لرامى..

أما أحمد عبدالمجيد وشوقى، فقد تغنى عبدالوهاب بشعرهما الغنائى الرقيق وأطرب وأشجى الأسماع - ويتحدث الشاعر أحمد عبدالمجيد عن هذ المرحلة الجديدة من مراحل التأليف الغنائى فيقول:[1]

(١) مجلة الإذاعة/ ١٩ ديسمبر ١٩٥٩.

«كانت مهمتنا فى الحقيقة صعبة.. لأن الجمهور كان لا يريد أن يجهد نفسه فى تفهم المعانى الجميلة. كما أنه لم يكن يستسيغ إلا المعانى التى تستثير غرائزه.. فأخذنا على عاتقنا الارتفاع بمستوى الجماهير لا النزول إليهم.. وكانت طفرة موفقة صادفت عند الجمهور إقبالاً على الاستماع حتى أن متعهدى الحفلات كانوا ينشرون اسم الأغنية ومطلعها التى ستغنى فى الحفل على الحائط».

وقد تناول تلك المرحلة من تاريخ التأليف الغنائى بعض النقاد والأدباء فقال الشاعر أبو بثينة عن تلك المرحلة:[1]

«منذ أكثر من ربع قرن كانت أغانينا عليلة هزيلة، كنا لا نسمع إلا الألفاظ المثيرة لأحط الغرائز، والمعانى المحركة لنزوات الشيطان فمن أغانى ذلك الزمان:

أرخى الستارة اللى فى ريحنا　　أحسن جيرانك تجرحنا
يا مبسوطين يا حنا　　يا مفرفشين يا حنا
هات القزازة واقعد لاعبنى　　دى المَزة طازة والحال عاجبنى

كانت أغانى ذلك الزمان من ذلك الطراز المبتذل الشائع المائع الذى أشاع فى شبابنا الرخاوة..

وفجأة ظهر أحمد شوقى وأحمد ورامى وأحمد عبدالمجيد وأضرابهم من الشعراء فكانوا بمثابة البنسلين الذى يصارع الداء فيصرعه، وسمعنا لهم أروع الشعر وأعذبه، وأرق اللفظ وأوقعه فى النفس..

كنا نسمع لأحمد عبدالمجيد مثل هذا المعنى الرقيق:

وأنا اللى بينّت جماله　　ورويت بدمع العين حسنه

(١) مجلة الكواكب/ أغانينا اليوم فى حالة انتكاس.

واشتاقت الناس لوصاله لما انشجوا بألحان نوحى

وكنا نسمع له مثلاً:

وأشوف خيالك من بين دموع العين

وأقول له مالك - وفين جمالك فين

خفف دموعى يا هاجر

خلينى أشاهد خيالك

دا الدمع قاسى وغادر

حجب محاسن جمالك

«كنا نسمع هذه الأغانى فى بساطتها، الرقيقة فى سهولتها الدقيقة فى وزنها وقوافيها».

كما صور أحمد عبدالمجيد تلك المرحلة ورسم صورة لأعلام فن التأليف الغنائى، وأثر فنهم فى تطور فن التأليف الغنائى والسمو بالفن الغنائى العربى:[1]

«وكأنما كان أمير الشعراء، أحمد شوقى والشاعر على الجارم وشاعر الحب والشباب الصديق أحمد رامى، وأنا على اتفاق معاً لإصلاح ما أعوّج من أمر الأغنيات وما وصلت إليه من ابتذال فى أوائل العشرينات، فكانت أم كلثوم تصدح بشعر أمير الشعراء وتردد آنذاك:

سلوا كؤوس الطلا مذ لامست فاها واستخبروا الراح هل مست ثنایاها؟

وكنا نسمعها تشدو بشعر على الجارم:

ما لى فتنت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحة الاك

(١) مقال للشعر عندى حكاية/ مخطوط/ أحمد عبدالمجيد

أما رامى فقد سبقنا إليها وأثرى دولة الطرب بشعره ونظمه الرقيق الصافى.. وكانت تشدو له في تلك الأيام:

«إن كنت أسامح وأنسى الأسية»

و«الشك يحيى الغرام» و«ليه تلاوعينى»

كما كانت تغنى له من شعر:

«ان حالى فى هواها» و«الصب تفضحه عيونه»

كما كان عبدالوهاب يغنى له «على غصون البان»

و«عصفورتان تتناجيان»

و«تعال نفن نفسينا غراماً»

وانتعشت دولة الغناء بهذا العذب الجديد من الشعر المطرب السامى، وأقبل الناس على الاستماع إليه اقبال الظامئ الصادى إلى النبع الصافى النمير. ثم لحق بركبنا بعد سنين من تلك الأيام شعراء ساروا على نهجينا وأمدوا دولة الغناء بثمرات نظمهم الممتع فى كل باب ولون.

هذا التحليل الدقيق والعميق والموضوعى لتلك المرحلة المهمة والحاسمة من مراحل تطور فن التأليف الغنائى عرضها لنا أحمد عبدالمجيد دون أن يشير إلى دوره المهم والأساسى فى هذا المجال انكاراً للذات وتواضعاً، ولكن المؤرخين لم يغفلوا عما أضافه لفن التأليف الغنائى من تجديدات جريئة وعميقة فى المضمون والمعانى والخيال والصور والوزن للقصائد الغنائية، ومن أطرف ما يروى فى هذا الشأن من تجديداته فى مجال الوزن ما رواه لى ذات يوم فقال:[1]

(١) روى لى هذا الشاعر أحمد عبدالمجيد يوم السبت ٦/٦/ ١٩٧٠م.

«عندما أسعدنى الزمن بمعرفة شاعر الحب والغزل: أحمد رامى فى العشرينات سألنى مرة إذا كنت درست شيئاً من الأوزان الفارسية فها له أن أجيبه بأنى لا أعرف حتى الأوزان العربية - فرحت أسأله بدورى عن السبب فى ذلك فقال: إنه سمع لحناً حديثاً لعبدالوهاب من نظمى أقول فيه:

ما كانش ع البال تشغل بالى- يا روحى وتسهرنى ليالى..

وقال إن هذا الوزن فارسى وهو وزن «الدوبيت» وعند ذلك قلت له: وهل يضيرنى أن أجهل علم العروض رغم أنى أنظم الشعر طول هذا الزمن دون هذا العلم؟

فأجابنى بضحكته الرنانة:

- إننى أفضل لك أن تبقى كذلك فإن العلم به يجلب الشك فيما تنظم!.

***

ولكن بعد التحاق شاعرنا بالسلك الدبلوماسى، وانتقاله بين مختلف البلاد حال ذلك بينه وبين الاستمرار فى تأليف الأغانى. بل إن حياته فى الخارج حرمته من متابعة الفن المصرى والشرقى إلا فيما ندر. على أنه كان ينظم لنفسه أرق الشعر وأجزله دون أن يطلع أحداً على ما ينظم.. وفى ذلك يقول رامى فى تقديمه لديوان شاعر الهمسات: «وما كنت أدرى أنه كالحمام الزاجل، يهدل على كل غصن فى كل روضة من الرياض التى كان يزورها فى أسفاره، سواء أكان على ضفاف البوسفور أم فى حدائق فيينا أو فى مباهج باريس.

فى الوظيفة

تخرج أحمد أحمد عبدالمجيد فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٢٨ بعد حصوله على شهادة الليسانس فى القوانين. وبعد تخرجه اتجه إلى ميدان المحاماة التى مارسها برغبة قوية وتقدير لرسالتها الإنسانية الرحيمة - ثم عين وكيلاً للنائب العام،

وكانت تربطه مودة وتقدير بالغ بأمير الشعراء شوقى، وحدث بعد تخرجه أن غاب فترة عن مجالسته. فلما سأل صديقه شوقى عبدالمجيد فريد والد شاعرنا عن سبب غيابه، وعرف أنه التحق وكيلاً للنيابة قال متأثراً:

«لا حول ولا قوة إلا بالله.. خسارة!».

فقد كان شوقى يتمنى أن ينذر شاعرنا نفسه للشعر كما نذر هو نفسه له.. ولكن الأدب عندنا لا يطعم ولا يسمن من جوع.. وتفرغ الإنسان للإنتاج الأدبى عندنا محال. أو هو درب من دروب التشرد والبطالة كما كان يردد شاعرنا.

ثم أصدر شاعرنا عام ١٩٢٨ كتاباً بعنوان «مجموعة شعر» تضمن بعض مختارات من شعره بالفصحى واللهجة الدارجة، وما لبث أن أصبح الشاب الناشئ أحمد عبدالمجيد واحداً من المعروفين بين الشعراء المعاصرين بما كان ينظمه من قصائد ومنظومات ومقطعات تستأثر باهتمام شباب الثلاثينات من السابحين فى بحار الرومانسية.

ولمع نجمه بعد النجاح العريض الذى جلبته له الأغنيات التى تغنى بها الموسيقار محمد عبدالوهاب بما فيها من صدق وأصالة وابداع.

وفى أواخر عام ١٩٣٠ التحق شاعرنا بوظائف السلك الدبلوماسى وتنقل فى مختلف السفارات والمفوضيات والقنصليات فى أكثر من عشر دول.

تنقّل بين ربوع فرنسا وإيطاليا وتركيا واليونان والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، وفلسطين ولبنان والنمسا وسوريا والأردن ثم سفيراً لمصر فى بلغاريا، وأخذ شاعرنا يتنقل بين قارات العالم فى السفارات والمفوضيات والقنصليات المصرية وهو يرتقى ابتداءً من درجة ملحق دبلوماسى حتى بلغ مرتبة السفير فى نهاية الخمسينات بعد أن قطع ثلاثين عاماً فى خدمة هذا السلك الدبلوماسى.

وكان شاعرنا يسجل دائماً عواطفه وأحاسيسه فى كل بقعة يحل بها.

وأعتقد أن «السفر والرحلة» والاقامة بين ربوع هذه البلاد من أهم العوامل فى تكوين أحمد الأدبى - وتركت هذه البلاد فى نفس الشاعر بصمات من جمال مناظرها بين مرتفعات وبحار وبحيرات ووديان وجبال وأثرت فى نفسه القدرة على التوغل فى النفس البشرية وتحليل ما كان يراه تحت ميكرسكوب فرحه وحساسيته. ولا شك أن ذلك قد أضفى على شعره آثاراً تراها بارزة فى ديوانه وفى أغانيه.

وقد اعترف أحمد عبدالمجيد بتأثير البيئة الأوروبية فى نفسه وفى فنه فيقول:[1]

«لا شك فى أن البيئة كان لها أثر كبير فى ذوقى الفنى.. وحياتى فى الخارج جعلتنى أتأثر بالفن الأوروبى، وكنت دائماً أحرص على متابعة الأوبرات والأوبريت وحضور الكونشرتات والكونسير، ومع ذلك فالفن الشرقى عندى والفن الأوروبى مثل الشمس والظل يتجاوران ولا يمتزجان.

ومن وحى تلك الحقبة كتب شاعر الحب والجمال أروع قصائد الوصف الغنائى مثل قصائده: «من وحى الراين»، و«من وحى البسفور» و«باريس» و«فى روما» و«فيينا».

فى قصيدته «من وحى البسفور» صور شعرية جميلة استوحاها من جمال البسفور وضفافه الخضر، وحسن جماله الآسر فى فصل الربيع فيقول:[2]

فى الشاطئين تألق وتأنق ... وعلى الرّبى سحر يشع ويشرق

خلع الربيع مفاتنا من حسنه ... فى الضفتين ونضرة تتألق

ان الربيع فصاحة أزلية ... عذب الحديث بيانه لا يلحق

يختال فى الوادى ويزهو فى الربى ... ويصيح فى سمع الوجود وينطق

(١) مجلة الإذاعة: ١٩ ديسمبر ١٩٥٩م.

(٢) أحمد عبدالمجيد/ همسات ص١١٥.

هبة الكريم تنَّوعت آياته ونسيج قدرته الذى لا يخلق
يجرى على البسفور فلك ساحر يختال فى برد الشباب فيعشق
المـاء ضـم جمـالـه وجـلالـه والموج يدفعه الغرام فيخفق
يمضى إلى غاياته فى خفّة لا يستريح مغرب ومشرق
هل فى بطونك يا مياه سرائر يحكى وقائعها قتيل مغرق

ثم يقول:

يا للنجوم على الثرى منثورة فى الشاطئين من المنازل تبرق
الـنـور فى جنباتها متوّهج كالجفن من حرق الغرام موّرق
ينساب فى الماء الضياء كأنه دمع على خدّ جرى يترقرق

ونرى أثر طوافه فى أقطار الغرب فى ديوان «همسات»، ونحن نسمع صدى هذا التجوال يتردد فى قصائده التى يصف فيها تأثير تلك المشاهد فى نفسه المتفتحة الصافية، وخياله الخصب.. نقرأ له مثلاً قصيدة «باريس» فإذا روح الشاعر وحسّه وقلبه كل أولئك مذاب فى كلماته يظهرك على مدى تأثير ذلك الطواف فيه:

يقول شاعرنا:[1]

قـولـوا لمـن جـهـل الهـوى علم الهـوى حيث الهـوى
علم الهـوى حيث الهـوى أيـن اتجـهـت سرى الهـوى
بـاريـس يـا بنت الشباب وبـنـت شـيـطـان غـوى
مـا أنـت إلا الـكـون يظمأ فـيـك ريـان الهـوى
فـتـانـة يـعـوج فـيـك مـن استـقـام إذا هـوى

(١) همسات/ ص١١٧/ ١٩٦١/ دار المعرفة - القاهرة

فــــإذا تــعــيّــا الجــــد فيك　　　دنـــا الــســبــيــل إذا نـــوى
فــيــك الـــغـــوايـــة والهـــدى　　　وبـــك اســتــقــام مـــن التوى

***

وقد استمر أحمد عبدالمجيد يرتحل من بلد إلى آخر بحكم منصبه الدبلوماسى مدى ثلاثين عاماً حتى نقل إلى ديوان وزارة الخارجية بالقاهرة عام ١٩٥٩م ليشغل منصب السفير المشرف على الشئون الخارجية العربية، وليكون فى نفس الوقت مندوباً دائماً للجمهورية العربية المتحدة لدى جامعة الدول العربية لمدة ثلاثة أعوام، اشترك فيها فى جميع اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمراتها فى الداخل والخارج، وفى تلك الحقبة استغرق أحمد عبدالمجيد عمله فلم نعد نقرأ أشعاره الرقيقة كما كف عن نظم الأغانى العذبة مما دفع بعض أصدقائه إلى دعوته للعودة لرياض الأدب والشعر والفن للاستمتاع بنفحات روحه الشاعرة ونبضات قلبه المذابة فى قصائده الممتعة.

من ذلك مثلاً ما كتبه الدكتور مصطفى الديوانى تحت عنوان «نصيحة إلى سفير» عام ١٩٦٠ يقول:(١)

.. عندما زرت سفارتنا فى روما، وتلفّت يساراً إلى الغرفة الأنيقة التى يشغلها مستشار السفارة، تذكرت الصديق أحمد عبدالمجيد السفير الأديب، وقد كان يجلس إلى المكتب نفسه منذ أربع سنوات، وهو شاعر وأديب رقيق.. وكان بالسماء غيّم خفيف.. فتذكرت أغنية لأحمد غناها عبدالوهاب منذ أكثر من عشرين عاماً، وهى:

فى الجــو غيم حجب القمر　　　وحرمنى مـن حسن جماله
يـــا هــل تـــرى عـــاذل ظهر　　　وإلا عــزول حـــب وصاله!

والواقع أن القطع التى وضعها أحمد عبدالمجيد لعبدالوهاب فى أوائل عهده

(١) مجلة آخر ساعة/ ٢١ ديسمبر ١٩٦٠

كانت أعمدة قام عليها مجده الفنى، وأن أغنيتى «فى الليل» للشاعر شوقى و«كلنا نحب القمر» لأحمد عبدالمجيد - وكلتاهما ظهرتا فى عام ١٩٢٩م - وكان يخيلّ إلىّ فى هذه الأيام الخوالى أن عبدالوهاب يغنى «بمزاج» إذا شدا بمقطوعات شوقى وكلمات أحمد عبدالمجيد.

إن المعانى التى بدأها أحمد عبدالمجيد تعتبر بداية عمر جديد فى تاريخ الأغنية. كيف ننسى له «كلنا نحب القمر، والقمر بيحب مين؟»، ثم «الهوان وياك معزة»، و«مريت على بيت الحبايب»، و«يا ترى يا نسمة» و«ما كانش على البال».

انى آخذ على الأستاذ أحمد عبدالمجيد انزواءه منذ أن أصبح وزيراً ثم سفيراً.. أفلا يرانى أبتعد عن الطب فى بعض الأحيان؟!.

لقد أخذت أنتهز الفرص التى تسنح لى وأنا استرخى على مقهى «الدونيه» بشارع فنيتو المحبب إلى قلب أحمد عبدالمجيد.. وأخذت أترنم بختام أغنية السفير «أحمد عبدالمجيد» «فى الجوغيم» إذ يقول:

مسكين ما دام عاشق وعزول
وانت اعتذارك إيه فى هوانى؟
يا قلبى آه حاتفيدك إيه
وقولتى آه بتزيد جفاك
مسكين مجروح من طول النوح
واسيه واشفيه يا دموع العين..
أيها السفير الأديب: اظهر وبان؟..

***

وفى مارس عام ١٩٦١م ترك أحمد عبدالمجيد عمله بالسلك الدبلوماسى ليتفرغ للأدب والترجمة والبحث والشعر، وكتبت صحيفة الأهرام يومئذ كلمة منصفة رقيقة بهذه المناسبة قالت فيها:

فى هدوء، ترك أحمد عبدالمجيد السفير فى وزارة الخارجية عمله الدبلوماسى بعد أن قضى فيه سنوات طويلة، ليتفرغ للشعر والأدب - وأحمد عبدالمجيد كما يقول عنه أحمد رامى فى تقديم ديوانه «همسات» شاعر خافت النبرة، رقيق العاطفة، لطيف المعشر..

همسات أحمد عبدالمجيد هى مجموعة من قصائده كتبها فى شبابه ومازال يكتبها بنفس حرارة الشباب، وهو يبتعد قليلاً عن سن الخمسين، ولكن شعره كله حب وغزل وشوق ورياح وأنهار!.. وأحمد عبدالمجيد شاعر كلاسيكى وشعره غنائى ينتقل من أطياف الذكرى إلى وصف راقصة باليه إلى وصف ليالى فيينا وشعره غنّاه محمد عبدالوهاب.

***

ومنذ عام ١٩٦١ أمد أحمد عبدالمجيد المكتبة العربية برصيد من المؤلفات النفسية فى أدب السياسة والترجمة والشعر، فأخرج لنا عدة كتب ما بين كتاب مترجم وبحث سياسى عميق وديوان شعر هامس.

وهذه هى مؤلفاته:

١ - الكتب المترجمة:

١ - فرنسا: شعبها وأرضها.

٢ - تمثال المحارب.

٣- مسرحية دون كارلوس.

٤ - طيار هيروشيما.

٥- العالم الثالث.

٦- أبوسمبل.

٧- الدبلوماسيون.

٨- سيوف الفردوس.

٩- أضواء على القوقاز بالاشتراك مع زميله السفير/ على فهمى العمروسى.

١٠- قصص قصيرة من الغرب.

٢- كتب مؤلفة:

مجموعة شعر «١٩٢٨»..

١- أضواء على الدبلوماسية (١٩٧٠)

٢- لكل أغنية قصة ديسمبر (١٩٧٠)

٣- سندباد دبلوماسى بدأه فى أبريل ١٩٧١ ونشر عام ١٩٧٤ بدار المعارف.

٤- رحلة مع الظرفاء.

٥- شوقى الشاعر الإنسان.

وقد كتب أحمد عبدالمجيد عدداً من أعمق الأبحاث السياسية وأوفاها منها:

١- بحث عن مشكلة المضايق فى تركيا.

٢- بحث عن مشكلة الإسكندرونة.

٣- بحث عن مشكلة «السار».

٤- بحث عن طائفة الدونمة فى تركيا.

٥- بحث عن الأقلية التركية فى بلغاريا.

obeikandl.com

من مؤلفاته المخطوطة:

١- فى عالم الأحلام «دراسة».

٢- نجوى «ديوان شعر».

وفيما يلى استعراض لبعض مؤلفاته النفيسة التى أصدرها شاعرنا..

«ديوان همسات»

أحمد عبدالمجيد ديوان «همسات» فى يونيه ١٩٦١ بعد تركه عمله الدبلوماسى بوزارة الخارجية ضم عصارة تجاربه العاطفية - ويتسم هذا الديوان بما تجمع لدى الشاعر من تجارب عميقة، ومعانى خصبة وانفعالات غالية، فهو متفائل «متفتح للحياة» لولا عقبات صحية كانت تعترض تفاؤله تراها مبثوثة بين مجموعة أسماها «ثنائيات» وهى «أوراق الخريف»..

وعاطفة شاعرنا فى قصائده صادقة قوية - وفى هذا الديوان نلاحظ الظواهر التالية:

- شعر الحب والغزل:

عاطفة شاعرنا فى هذا اللون صادقة ونابضة بالحرارة، وهو فى هذا اللون شاعر أصيل مبتكر، يعزف على أوتار القيثارة القديمة، ألواناً جديدة من النغم ومن الألحان الطريفة الشائقة..

يقول فى قصيدة «وعد»:[1]

وعـــد الحـــبـيـــب دعـــانـــى   وأول الـــغـــيـــث قـــطـــره
ورقّ قـــلـــب زمـــانـــى   وراح يـــبـــذل يـــســـره

(١) همسات/ ص٩٠

ورن صــوت حبيبى مــنــاديــاً - مــا أبــره
وجــاء فى الــلــيــل لما أعـــاره الــلــيــل ستره
ولــفــنــا فى ظــلام لـيـل تجـاهـلـت فـجـره
أغــنــى بــه عــن ضـيـاء يـنـشر عـلى الـكـون دره
فـهـو الـضـيـاء لعينى طـلا بهـا مـنـه نـظـره
وظــل يــشرب خمــرى وكــنــت أشرب خمــره
وكــان ســحــر حبيبى مــن كـوثـر الحــب سكره

ويقول فى قصيدة «أمس»:[1]

شغلت لفرط الحب عنك وعن نفسى فما مر من عمرى سوى زاهر الأمس
ويومى وليد ليس لى فيه سلوة ولا فيه لى ذكرى يطيب بها حسّى
ولا أشتهى الآتى وأخشاه إن دنا كمن بات فى خوف من الجن والانس

ثم يقول:

لقد كنت ليس شمسى وأنسى وراحتى وكنت نعم البرء وافى بلا نكس
فيا ليت ذاك الأمس خلف لى غدا لكنت به أغنى عن الكون والأنس

- الإيمان بمذهب اللذة:

وهو هنا شاعر خيامى يخاف الغد وينشد الجمال واللذة متمثلاً بقول من قال «ولك الساعة التى أنت فيها، على نحو ما نشاهد فى قصيدة «العيون السود» التى يدافع فيها عن استغراقه فى عبادة روائع الحسن وبدائع الجمال يقول:[2]

(١) همسات/ ص٤٣
(٢) همسات/ ص١٠٥

أيهـــا الـــلائـــم دعـنـى ... لـيـس يـرجـى لى مـتـاب
كـلـما أوصــــدت بـابـاً ... لـلـهـوى يـنـشـقّ بـاب
والـعـيـون الـسـود همّـى ... أمـرهـا عـنـدى مجـاب
لـست أدرى يـوم وافـت ... كـيـف لـبـاهـا الـصـواب

***

هـل رأيـتـم قـبـل قلبى ... لـلـردى يـسـعـى المـصـاب
يـتـبـع الـعـيـنـين عـدوا ... أيـنـما يـبـدو سراب
لـلـهـوى أسـلـمـت قيدى ... لـست أخـشـى أو أهـاب
أيهـــا الـــلائـــم دعـنـى ... قـبـل أن يـمـضى الـشـبـاب

- شعر الطبيعة:

لقد تغزل فى النيل وواديه عندما اغترب، ثم كان اتجاه الشاعر نحو الطبيعة الغربية بما فيها من ألوان وظلال وجمال يقول فى قصيدته العذبة «من وحى البسفور»:[1]

خلع الربيع مفاتنا من حسنه ... فى الضفتين ونـظـرة تتألق
ان الربيع فصاحة أزلية ... عذب الحديث بيانه لا يلحق
يختال فى الوادى ويزهو فى الربى ... ويصيح فى سمع الوجود وينطق

ويقول فى قصيدة «باريس»:

والـغـاب ملتف الخمائل ... عـطـره مـلأ الهـوا
يا غـاب «بولونيا» سعدت ... وعـشـت يـا غـاب الهـوى

(١) همسات/ ص١١٥

كـم ذكـريـات لـلأحـبـة / فـيـك والـذكـرى دوا
أغـصـانـه مـشـتـاقـة / أواهـة تـشـكـو الجـوى
والـسـين مـبـتـسـم وعـنـد / ضـفـافـه ابـترد الهـوى
يختال بـين الـضـفـتـين / كـفـارس بـادى الـقـوى

ويقول عن سحر الطبيعة فى لبنان:

لبنان من بين المغانى جنة / ما ان لها بين الرياض مثال
أين انتقلت لقيت حسناً ماثلاً / فـإذا مكثت أتى إليك جمال

- الحنين:

ويرجع ذلك إلى غربة الشاعر الطويلة عن وطنه وعدم استقراره فى بلد ما لفترة طويلة وانتقاله المستمر بين بقاع العالم فى سان فرانسيسكو وميلانو وروما وأنقرة وأثينا واستانبول وبون وميلانو والقدس وبيروت ودمشق وعمان وباريس ويرتبط حنينه لمصر بحنينه لمحبوباته فيها:

يقول فى قصيدة «حنين»:[1]

هواى على النهر المنوّر شطّه / رعى الله سمراء الربى بحنان
لها النفس ظمأى والمطامع جمة / على البعد سيان وحين تدانى
أحنّ إلى مغناك يا غاية المنى / وما الشوق إلا من منى وحنان

ويقول فى قصيدة «سمراء النيل» يحن فيها لأيام الوصال والسعادة مع محبوبته ويستذكر ليالى الهناء وهو فى غربته فيقول:[2]

(١) همسات/ ص٢٢.
(٢) همسات/ ص٢٣.

يا جارة النيل أيام بنا سلفت	مضت كعمر الندى أو خفقة الحبب
ذكرتها وحنين الشوق نازعنى	ورمتها وهوى الخفاق يعصف بى
تذكّرى من خرير النيل مجلسنا	يروى حديث الهوى من سالف الحقب
يروى إلى الشط والعشاق قصته	حلو البيان كرجع من حديث نبى
لما تـأذن يا سمراء مغتربى	وصوتك العذب يا سمراء فى طلبى

وعندما كان يستمع إلى لحن فى ديار الغربة ينتابه الشوق والحنين إلى ضفاف النيل وينتابه شوق غلاب إلى ذكرياته السعيدة على الضفاف الخضر يقول فى قصيدة «من وحى النيل»:(١)

ورقاء غنّت على أيك لتشجينا	يا ليتها علمت مـاذا تغنيّنا
صدّاحة اللحن إلا أنه نغم	لم يقو يوماً على أرواء صادينا
نوحى بنجواى أن يممت ربوتها	وذكريها - إذا شاءت - ليالينا
وبلغيها - وقد شط المزار بنا	أنّا على العهد ان غبنا مقيمونا

ثم يقول:

يا جارة النيل هل من آجل مرح	يضوى له الغيب من بشرى تلاقينا
صونى عهود ليال طاب موردها	فما لقيت لها من بعدكم لينا
ياسعد من بات شدو النيل يطربه	ويا هناءة من يشقى بوادينا

- شعر الخمر:

وهذا الفن عند شاعرنا فيه أصالة وابتكار وإبداع ويتجلى فى هذا الفن خفة ظل شاعرنا وروحه المرحة المقبلة على الحياة وتفتحه لمباهج الحب وألوان الجمال، كما

(١) همسات/ ص٣٨.

يتجلى فيه شكواه من ضعف البدن واضطراب الأعصاب، وقلق النفس.

يقول أحمد عبدالمجيد:[1]

اسقنيها علّنى أشفى بها ... فــإذا لم تشفنى تقتلنى
بــين قـتـلى وشـفـائـى قـدح ... فيه من دائـى خلاص البدن

ويقول:

صفراء حمراء أو بيضاء ناصعة ... جيئوا بهنّ جميعاً يختفى دائى
إنى أزيد على من قال منتشيا ... «وداونى بالتالى كانت» بلا ماء

ويرى أن الخمر ملاذ يدفن فيها آلامه وشجونه..

فيقول:

هات لى الصهباء تطوى الداء طى ... انه فى الصحو كم يقسو علىّ
أحـسـب الـداء قتلناه بها ... فإذا أصبحت قام الـداء حى

ويقول:

يتخيل النشوان أحلام المنى ... صحّت وأن نـوالهـنّ قريب
وأرى إذا أترعت خمرا أننى ... أحيا وحسبى بالحياة نصيب

ثم يروى فلسفته فى الحياة فيقول:

سـألـت وكـأسـى فى يـدى ... ما تلك؟ قلت: حياة أنسى
قـالـت: وهـل تـرضى بها ... بـدلا؟ فقلت: ولا بنفسى

ثم يقول.. وقد أضناه الضنى طالباً العفو ومغفرة الله:

(١) همسات/ ص١٣٦.

ما شربت الخمر إلا للتداوى   لا لـداع فى سويعات الهناء
رب فاغفر لى الضنى ان كان ذنبى   واعف عن دائى ففى العفو الشفاء

ويروى لنا شاعرنا القصة التالية:

«عندما صدر أمر نقلى إلى سان فرنسسكو، كان يسرى فى الولايات المتحدة فى ذلك الحين من عام ١٩٣٢ قانون منع المسكرات.

وكنت فى شهر يوليو من ذلك العام استعد للسفر بحراً من الإسكندرية إلى أوروبا ومنها عبر الاطلسى إلى نيويورك ثم بالقطار إلى سان فرنسسكو.. وكان شوقى الشاعر مصطافاً فى رمل الإسكندرية.. ووجدته يتريض فى كازينو سان استيفانو بالسير فى مماشيه الشائقة وإذا به يلقانى بضحكة تسرى فى كل وجهه ويتقطع بسبب استرساله فيها كلامه. ولفيته يقول لى إنه علم اننى انتقلت من اليونان بلد الإله باكوس إله الخمر إلى أمريكا حيث يسرى قانون منع المسكرات. ثم يعقب على ذلك بقوله: «حاجة غريبة خالص بقى انته فيك صحة تتحمل الانقطاع عن الشرب!..

***

- الحكمة:

فى هذا الديوان آبيات مليئة بالحكمة نتيجة لتجاربه الخصبة العميقة فى الحياة وتأملاته الهادئة فى الوجود والناس والحياة وفى تلك الأبيات الشعرية صور مبتكرة جميلة ليس فيها تقليد أو سطحية أو مواعظ بل فيها تجديد وطرافة وابتكار أصيل، فمثلاً يصور اسرافه وعدم الاحتفاظ بالمال بين يديه فيقول:

المـال بـكـفـى لـيـس له   صـبـر فى أهـون تصويرى
لا يـبـقـى فى كـفـى إلا   مـا بـين شهيقى وزفـيرى

ومن أجمل الصور قوله:

قالت الزهرة للورد أجبنى ما لهذا الشوك فى غصنك نامى؟

قال: هذا الشوك فى غصنى سلاحى فاستريحى واريحينى ونامى

وقد ضمن شاعرنا أحمد عبدالمجيد ديوانه «همسات» مقطوعات ثنائية جاوزت المائة والثلاثين مقطوعة كان يمكن أن تصدر فى ديوان منفرد، وقد أسماها: «أوراق الخريف» التى قال فى تقديمها:

«فلقد نفد صبرى فما أطيق نظماً أو نثراً، وأمسك خيالى المجنّح عن التحليق، يوم غدا لا يطير ولا يسير، وأعرضت عن مواكب الدنيا إذا هى استاذنت فى طرق بابى، وعزمت راغباً عن الكثير الغزير، راجيا قانعاً باليسير الأقل».

وهو فى هذا الديوان، حلّق فى عالم الحكمة والتأمل على عكس ما وصف به حالته النفسية ونفاد صبره يوم ان وضع هذه الثنائيات. فلقد عانى فترة طويلة من تقلّب العلل على بدنه النحيل حتى ارقدته طريح الوساد، جمع فيها الكثير من هذه الثنائيات الساخرة. اسمعه وهو يقول عن الأمراض:

أمضيت فى خدمة الأمراض أعواماً ما غاب عنى الضنى يوماً ولا ناما

وجئتها اليوم أرجوها وأسألها منحى معاشاً وتكريماً وإنعاما

أو يقول فى حوار بين عليل وطبيب:

سأل العليل طبيبه عن وعكة تنتابه فأشار بالمستشفى

ثم استدار لسؤاله: يا هلترى يشفى! أجاب نعم متى تتوفى

ويقول:

تعجلت الزمان فراح يجرى وراح العمر يجرى وهو يدرى

وأسلمنى السباق إلى سقامى فكيف ألـوم أيامى ودهـرى

ومن أروع ما قاله فى الحكمة قوله:

أتعجل الأيام تسرع خطوها فإذا مضت عنى بكيت الماضى

وأحنّ للذكرى فيغضب حاضرى فأقول: لا تغضب فانك ماضى

***

ويقول شاعر الحب والشباب أحمد رامى عن ديوان «همسات» فى المقدمة النفيسة التى كتبها:[1]

«وشاعرنا أحمد عبدالمجيد لطيف العشرة، مرهف الحس، خافت النبرة، رقيق العاطفة. إذا قرأ علىّ شيئاً من شعره أحسست وقد قلبه فى حرارة إلقائه وفى ديوانه قرأت طائفة من الشعر بين قصيد ونشيد، ومقطعات غنائية تناول فيها خواطر جرت على قلمه فى كل صقع من الأصقاع التى زارها فى طوافه. قرأت شعراً بديعاً فى لفظ سهل وقافية رنانة وأسلوب واضح تسرى فيه روح رفيقة، ونفس رقيقة، وتتجاوب فى أصداء بعيدة لأنغام فريدة، فى لغة الطير أغرودة المكاء وهى فى لغة النور إشراقة الفجر وبهاء الغروب».

ب- أضواء على الدبلوماسية

أصدر أحمد عبدالمجيد كتاب «أضواء على الدبلوماسية» فى شهر ديسمبر ١٩٦٩

وفى هذا الكتاب ألقى المؤلف الضوء على ما رمى به الناس الدبلوماسية من غموض وتيه، فى إيجاز وإيضاح وشرح، واستناد إلى شواهد من التاريخ والأحداث عبر الزمن منذ أن قام مجتمع بشرى من شأنها جميعاً أن تجعل الرؤية واضحة، وبلوغ

(١) همسات/ ص٦.

المعرفة يسيراً لا عنت فيه ولا عناء.

إن مجال رسالة الدبلوماسية مترامى الأطراف، واسع الأفق، متعدد السبل والطرقات، فألقى المؤلف الضوء على بعض دروبه، والتعرف على ما هو رئيسى من هذه الدروب، فكان هذا الكتاب بمثابة موسوعة ميسرة عن الدبلوماسية يفيد منها المتخصصون وعامة المثقفين لما يمتاز به هذا الكتاب من وضوح وبساطة وأسلوب جميل مشرق سلس سهل خال من التعقيد والتكلف والجمود.

وقد كتب الأديب «يحيى حقى» مقالاً تحليلياً قيما عن هذا الكتاب الدسم قال فيه:[1]

«صدر أخيراً كتاب «أضواء على الدبلوماسية» للأستاذ أحمد عبدالمجيد وأحمد عبدالمجيد الذى عمل بالسلك الدبلوماسى ثلاثين سنة حتى ارتقى من أول درجات السلم إلى مرتبة السفير هو من ركب الدبلوماسيين الأدباء. انه شاعر رقيق له ديوانان أولهما «همسات» وثانيهما «أوراق الخريف» يتمثل فيهما الشعر، وهو يتخلص من الذوق الكلاسى إلى الذوق الحديث، وهذا النغم الشعرى الذى يخفق به قلبه هو الذى جعله أيضاً من مؤلفى نصوص الأغانى وكم دارت على ألسن الشعب - لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله - كلمات له ألفها لعبدالوهاب فتغنى بها مثل:

«كلنا نحب القمر» و«مريت على بيت الحبايب»، ولا أجب أن أنتقل إلى بقية الكلام دون أن أذكر أيضاً للأستاذ أحمد عبدالمجيد صفة تجعله فى المحل الأول فى أصدقائه - وهم كثر - بل تكاد تبلغ صداقتهم له بسببها حد العشق!..

صفة تسلكه فى هذا الرتل الذى هو زينة الحياة وبهجتها الممتد من البابلى والبشرى وحافظ إلى حسين الترزى ورامى وأم كلثوم، أعنى رتل أئمة الدعابة وفن التنكيت

(١) صحيفة المساء/ ٢٦ يناير ١٩٧٠

أرجو أن أقدم لك فى فرصة أخرى أمثلة من نكات أحمد عبدالمجيد التى يطلقها عفو الخاطر وليد اللحظة لا لبراعتها فى الفكاهة بل لأنها تمت إلى الأدب الرفيع أيضاً من حيث حسن الذوق وقوة الخيال وتمام العناق بين اللفظ والمعنى..

وهذا الكتاب «أضواء على الدبلوماسية».. يثبت للناس خلاف ما يظنه الناس من أن تطور السياسة والتقدم الهائل فى طرق المواصلات قد سحبا البساط من تحت أقدام العمل الدبلوماسى حتى ليبدو للأعين أنه أصبح ترفا لا مسوغ له «يثبت الكتاب أن العمل الدبلوماسى له أهميته وجدارته بالبقاء».

يقول: ووظيفة السفير لا تزال تحمل عبء جس النبض، وتهيئة الجو المناسب وإزالة العوائق والعقبات والإعداد والتمهيد لكل محادثة ذات خطر يقوم بها وزير خارجيته، وإلى جانب كل ذلك تحمله لكل صدمة عند وقوع نزاع بين بلده والبلد المعتمد لديه.

وبعد أن ذكر الكتاب سعى السفراء لتدعيم الروابط الاقتصادية والعلمية والثقافية بين بلدهم والبلاد الأخرى قال:

«لقد أصبحت دور السفارات فى عصرنا الحديث بمثابة الواجهة الخارجية التى تعرض فيها خير النماذج المشرفة للدولة من كل جانب».

وهكذا فإن أحمد عبدالمجيد، على خلاف مارك أنطوان - لم يشأ فى هذا الكتاب أن يقبر السلك الدبلوماسى بل ان ينفخ فى روحه، ولكنى لم أر مدافعاً فاقه فى التزام الاعتدال والتريث والاعتراف بالحقائق التى له والتى عليه، وقد وصل أحمد عبدالمجيد إلى خاتمة البحث بعد أن طاف بنا عبر التاريخ فيبدأ بتعريف الدبلوماسية ثم يشرح تطورها فى مختلف العصور ثم يتطور إلى الحرفة ذاتها فيشرح أدواتها ومصطلحاتها - ولكن هذا الجانب المنهجى الدراسى فى الكتاب لا يهمنى «لأنى أجد

مثيلاً له فى مراجع أخرى» قدر ما يهمنى الجانب الآخر فى الكتاب الذى جمع فيه أحمد عبدالمجيد خلاصة قراءاته المستفيضة عن تجارب سفراء عديدين وهم يصارعون مشاكل مناصبهم فى أدق الأوقات وأشدها ضغطا عليهم، تجارب سفيرى فرنسا فى إنجلترا وروما «وهما اخوان كامبون» قبل الحرب العالمية الأولى وتجارب سفيرى ألمانيا فى موسكو وانجلترا «كونت فيرنر فون دير شولز برج وهربرت فون ديركسن»، وكذلك سفيرى الولايات المتحدة فى لندن وباريس «مستر كندى ومستر بوليت» قبل الحرب العالمية الثانية، يضاف إلى ذلك هذه الصورة الحية الممتعة التى قدمها المؤلف لسكرتير وزارة الخارجية الفرنسية فيليب برتلو قبل الحرب العالمية الثانية، هذا هو الجانب النابض فى الكتاب، تقرأه، كأنك تقرأ قصة درامية تهتز بما تتضمنه من لحظات الصراع العنيف بين قوى جبارة، قوى مادية ومعنوية، فينبغى لكل عضو فى وزارة الخارجية عندنا أن يقرأ هذا الكتاب بل اننى واثق أن كل مثقف سيجد فيه فائدة ومتعة، وينتهى الكتاب بعرض ينصف سياستنا الخارجية كل الانصاف، قد شعرت باعتزاز كبير ببلدى وأنا أقرأه فقد أثبت المؤلف أن سياستنا الخارجية تعتمد على المثل العليا التى تهفو إليها الإنسانية، من الاعتراف لجميع الشعوب بحقها فى تقرير المصير، من مقاومتها لكل أنواع العدوان، من وقوفها ضد الاستعمار، حتى كأنك لتحسب أن لا مصلحة لنا إلا الدفاع عن هذه المبادئ والتمسك بها.

حقاً أن مكتبتنا لم تثرها كتب عديدة مؤلفة لا مترجمة عن الدبلوماسية، وتجارب سفرائنا العظماء ولابد أن نشيد هنا بأعمال أستاذنا أحمد فراج طايع الذى قدم لنا جوانب من تجاربه فى الأمم المتحدة وفى فلسطين، أما أحمد عبدالمجيد فلم يشأ فى كتابه أن يحدثنا عن شىء من تجاربه، لعله يختزنها لكتاب آخر نرجو ألا يغيب عنا، ولكنه لحسن الحظ لم ينس وهو يؤلف «أضواء على الدبلوماسية» حتى وهو يتحدث عن

الجانب الحر أنه أديب، صاحب أسلوب، فالتزم فى الكتاب كله رشاقة اللفظ والعبارة فهو أيضاً نص أدبى.. انظره كيف يعرف البروتوكول:

ومعنى البروتوكول أو المراسم فى عالمنا الحديث هو قدرتنا على فهمنا للحياة وكيفية استقبالنا لها والاحاطة بتفاصيلها ودقائقها والعناية بمعرفة ما يحيط بجوها من مظاهر الاستقبال والاجتماع والاحتفاء والتصرف الصحيح فى مختلف المناسبات، والعلم بما ينبغى أن يترك وما يتعين أن يكون، هو فى كلمة جامعة «فن الحياة».

ج- لكل أغنية قصة»

صدر كتاب «لكل أغنية قصة» لأحمد عبدالمجيد فى ديسمبر عام ١٩٧٠م.

وهذا الكتاب النفيس يحكى قصة الغناء العربى منذ الجاهلية حتى العصر الحديث وقد تناول قصة الغناء فى بداوته وتطوره مع الزمن ثم عرض لقصة الغناء فى مصر فى عهد الموال والدور والتخت والتطريب ثم الغناء المسرحى فى مصر، ابتداءً من الشيخ سلامة حجازى..

ثم تناول بصورة موضوعية منصفة لدور موسيقار الشعب سيد درويش فى تطوير الموسيقى الشرقية وتلحين الأوبريت، ثم عقد فصلاً تحدث فيه عن دور أم كلثوم فى أداء الأغنية ورسالتها فى عالم الغناء كما عقد فصلاً تناول فيه دور الموسيقار محمد عبدالوهاب فى تطوير الأغنية ثم تكلم عن الفنون الشعبية «الفلوكلور» وظاهرة اهتمام كافة الدول بها، ثم ذكر ما اشتهر على المستوى العالمى من الموسيقى الغربية، واختتم هذا الكتاب النفيس بما نظمه من أغانى للموسيقار محمد عبدالوهاب فى الفترة من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٠، وذكر بيتين من الشعر يلخصان فلسفته فى نظم الأغنية:

طوّفت ما طوّفت فى بحر الهوى ورجعت حرّان الجوانح صادى

وأحلت أنات الحنين أغانيا   هى فى خريف العمر من عوادى

ومن أرق تلك الأغانى العذبة الشجية «كلنا نحب القمر» التى يقول فى مطلعها:

كلنا نحب القمر   والقمر بيحب مين؟
حظنا منه النظر   والنظر راح يرضى مين؟

***

كل يوم يظهر عزول   تفتنه ويغير عليك
وان سباه النوح وطال   فيك أنينه يلومنى فيك

وأغنية «خايف أقول اللى فى قلبى»:

خايف أقول اللى فى قلبى   تتقل وتعند ويايه
ولو داريت عنك حبى   تفضحنى عينى فى هوايه

وأغنية «مريت على بيت الحبايب»:

مرّيت على بيت الحبايب   من اشتياقى أناجى أهله
مدام مليك القلب غايب   وفى التلاقى يبخل بوصله

****

وقفت لحظة هنيّه   من غير عزول أو رقيب
أنعش فؤادى وعنّيه   بجوّ فيه الحبيب

وأغنية «نسيم الربيع»:

نسيم الربيع ينعش فى قلبى الحنين ويزيد وجده
متيم صريع ولهان يناجى الضنين من طول بعده

obeikandi.com

وأغنية «بالليل يا روحى»:

بالليل يا روحى أرتّل بالأنين اسمك　　وبعين خيالى أصوّر يا ضنين رسمك

وأشوف خيالك من بين دموع العين　　وأقول له مالك وفين جمالك فين

ومن ذلك أيضاً أغنية:

بالك مع مين يا شاغل بالى　　يا حبيب العين ارحم حالى

وأغنية «ما كانش عالبال»:

ما كانش عبالبال تشغل بالى　　يا روحى وتسهرّنى ليالى

ويذكر أحمد عبدالمجيد الدوافع التى جعلته يقوم بتأليف هذا الكتاب فيقول:[1]

«كانت لى من ملازمتى لمجالس الغناء فى مصر، والاختلاف إلى دور الأوبرا وحفلات الكونسير فى الخارج، ذخيرة تؤنسنى فيما أنا مقدم عليه من الكتابة عن شأن أحبه وأهواه.

ويّعرف أحمد عبدالمجيد الغناء تعريفاً جميلاً شاعرياً فيقول:

«الغناء هو المنطلق الذى يعبر به ناظمه وملحنه ومغنيه ومردده، عما يختلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس، وهو المتنفس الذى يجد طريقه سهلاً هيناً إلى الأسماع المترقبة له، لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه، ولتحتفى بهذا السحر الآسر، الذى يسمو ويسف، ويؤنس ويوحش، ويضحك ويبكى، كأنما اجتمعت له ما فى الجنة من نعيم، وما فى النار من عذاب وضنى».

ويرى أحمد عبدالمجيد ان الموسيقى تترجم عما بلغته أمه من الأمم، من تقدم ورقى، وانحدار وانحلال، أو تأخر وهمجية..

(١) لكل أغنية قصة/ ١٩٧٠/ المقدمة - مكتبة الأنجلو/ القاهرة.

وقد استقبل النقاد هذا الكتاب الفريد والأول من نوعه فى المكتبة العربية استقبالاً حسناً فكتب الشاعر صالح جودت مقالاً عن الكتاب قال فيه:

«يقول السفير الشاعر الفنان أحمد عبدالمجيد، صاحب الديوان الحالم «همسات إن الغناء هو المنطلق الذى يعبر به ناظمه وملحنه ومغنيه ومردده عما يختلج فى نفسه من مشاعر وأحاسيس، وهو المتنفس الذى يجد طريقه سهلاً هيناً إلى الأسماع المترقبة له، لتحتفل به مع من صاغوه وتغنوا به وأدوه، يسوق هذا التعريف الطريف للغناء فى كتابه الجديد الذى ظهر هذا الأسبوع بعنوان «لكل أغنية قصة».

وأحمد عبدالمجيد ليس غريباً على الأغنية.. بل هو رائد من روادها الأوائل الذين كانوا ارهاصاً للثورة الغنائية التى تفجرت بعده على يد رامى وتلاميذه. فلقد اتصل أحمد عبدالمجيد بعبدالوهاب قبل عودة رامى من باريس وخوضه ميدان الأغنية بل لعله اتصل به قبل أن تتوطد الصداقة الكبيرة بين عبدالوهاب وأمير الشعراء الذى نظم له روائعه الفصحى والدارجة.

وكتب الناقد الفنى الصحفى عبدالفتاح البارودى يقول:[1]

كم عدد الذين يعرفون اسم مؤلف أشهر أغانى عبدالوهاب القديمة؟!

ان هذا الشاعر الغنائى الرقيق الذى كتب «كلنا نحب القمر - خايف أقول اللى فى قلبى - مريت على بيت الحبايب» هو الفنان أحمد عبدالمجيد الذى اختفى عن الوسط الموسيقى منذ ٤١ عاماً ظهر هذا الأسبوع فى كتاب بعنوان «لكل أغنية قصة».

والغريب ان هذا العنوان لا ينطبق على محتويات كتابه هذا، الذى قدم فيه إضافية عن الأغانى فى حياة الشعوب وقصة الغناء العربى والغناء فى مصر والغناء المصرى والفنون الشعبية وغيرها، وفى الكتاب بحوث وتحقيقات واستطرادات ممتعة ومفيدة

(١) مجلة الكواكب/ ١٥ ديسمبر ١٩٧٠م.

والمهم أن المؤلف يمتاز بالأمانة العلمية التى حتمت عليه الاستناد إلى مراجع مختلفة وإلى آراء المتخصصين.

صاحب هذا الكتاب شاعر رقيق له فى ميدان الشعر الغنائى ذكر مجيد فى مطلع نهضته الحديثة. فقد غنى له الموسيقار محمد عبدالوهاب قطعاً مختارة، فى مستهل ظهوره على المسرح، لا يزال الشعب يرددها إلى الآن. وقد تناول فى كتابه جوانب الغناء منذ ان كان يصاحب نفساً فى قصب، أو نقرأ على طبل، إلى أن أصبح صوتاً ساحراً يذوب رقة فى تيار بديع من عزف يصدر عن شتى الآلات الموسيقية. وكان مسك الخيام تدوين ما أرسل وأطرف فى شبابه من أغاريد، فهو شاعر أحس فنظم وأرسل أبدع النغم، وكان فى أول عهده ينظم الأغانى، دعامة من دعائم الغناء.